فيقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله نهى ان يبيت المشركون وتوارث بنوه عليهم تكلم هذا الخلق الدني اراد المضاءان
يبيت عيسى بن موسى فمنعه ابرهيم بن عبد الله وارسل لما ظهر بالبصرة الى محمد بن قحطبه مولى باهلة وقد كان ولى لابي جعفر المنصور
بعض اعمال فارس فقال له هل عندك مال قال لا قال الله قال الله فقال خلوا سبيله فخرج ابن قحطبه وهو يقول بالفارسية ليس
هذا من رجال ابي جعفر وقال لعبد الحميد بن لاحق بلغني ان عندك مالا للظلمة يعني آل ابي ايوب المورياني كاتب المنصور فقال
ما لهم عندي مال قال تقسم بالله قال نعم فقال ان ظهر لهم عندك مال لاعدنك كذا ابا وارسل الى طلحة العذري وكان للمنصور
عنده مال بلغنا ان عندك مالا فاتنا به فقال الرجل ان عندي مالا فان اخذته مني اغرمنيه ابو جعفر فاضرب عنه وكان
لغير ابرهيم من آل ابي طالب من هذا النوع اخبار كثيرة وكان القوم اصحاب دين ليسوا من الدنيا بسبيل وانما يطلبونها
ليقيموا عمود الدين بالامرة فيها فلم تستقم لهم والدنيا الى اهلها اميل ومن الاخبار النبوية المرفوعة في ذم الغدر ذمة
المسلمين واحدة فان اجارت عليهم امة منهم فلا تخفروها وجوارها ان لكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة وروى ابو هريرة
قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع فاخبره فامر ابو هريرة ان يدخل يده فيه فادخلها
فاذا هو مبلول فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من غش قال بعض الملوك لرسول ورد اليه من ملك اخر اطلعني
على سر صاحبك فقال ايها الملك انا لا استحسن الغدر وانه لو حول ثواب الوفاء اليه لما كان فيه عوض من قبحه ولكان
سماجة اسمه وبشاعة ذكره ناهيين عنه مالك بن دينار كفى بالمرء خيانة ان يكون امينا للخونة وقع جعفر بن يحيى على
ظهر كتاب كتبه علي بن عيسى بن ماهان الى الرشيد يسعى فيه بالبرامكة فدفعه الرشيد الى جعفر عتبا به عليه وقال اجبه
عنه فكتب في ظاهره حبب الله اليك الوفاء يا اخي فقد ابغضته وبغض اليك الغدر فقد احببته اني نظرت الى الاشياء
حتى اجد لك فيها مشبها فلم اجد فرجعت اليك فشبهتك بك ولقد بلغ من حسن ظنك بالايام ان امنت السلامة مع البغي
وليس هذا من عاداتها والسلام كان العهد لعيسى بن موسى بن محمد بعد المنصور بكتاب كتبه السفاح فلما طالت ايام
المنصور سامه ان يخلع نفسه من العهد ويقدم محمد المهدي عليه فكتب اليه عيسى بدت لي امارات من الغدر سمتها
ارى ما بدا منها سيمطر كرد ما وما يعلم العالي متى هبطاته وان سار في ريح الغرور مسلما ابو هريرة يرفعه اللهم اني اعوذ
بك من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة وعنه مرفوعا المكر والخديعة والخيانة في النار
وقال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب عند زوال الامر اني ان تصير الى هؤلاء فلعلك ان تنفعني في مخلفي فقال وكيف لي
بعلم الناس جميعا ان هذا عن رايك انهم ليقولون كلهم اني غدرت بك ثم انشد وغدري ظاهر لا شك فيه لمبصره و
عذري بالمغيب فلما ظفر به عبد الله بن علي قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه كان يقال لم يغدر غادر الا لصغر همته
عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم من كلام امير المؤمنين عم الوفاء لاهل الغدر غدر والغدر
باهل الغدر وفاء عند الله تعم قلت هذا انما يريد به اذا كان بينهما عهد وشارطة فغدر احد الفريقين وخاس بشرطه
فان للاخر ان يغدر بشرطه ايضا ولا يفي به ومن شعر الحماسة واسم الشاعر طارق الطائي من مبلغ عمرو بن هند رسالة اذا
استحقبتها العيس جاءت من البعد ابو عدي والريح بيني وبينه تبين رويدا ما امامة من هند ومن اجاء حولي عثانين
كانها قنابل خيل من كميت ومن ورد غدرت بامر انت كنت اجبدتنا اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد ابو بكر بن ابي
قحافة ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال سبحانه يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وقال ومن نكث
فانما ينكث على نفسه وقال ولا يحيق المكر السيء الا باهله الاصل ومن خطبة له عم ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم
اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة الا وان الدنيا
قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الاخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا
من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بامه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل الشرح الصبابة بقية الماء في الاناء اصطبها صابها مثل قولك بقاها مبقيها او تركها تاركها ونحو ذلك
يقول ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق هذا صحيح لا ريب فيه لان الهوى

وقد قيل حبك يعمي ويصم ولهذا قال بعض الصالحين رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وذلك لان الانسان يحب نفسه ومن احب
شيئا عمي عن عيوبه فلا يكاد الانسان يلمح عيب نفسه وقد قيل ارى كل انسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه فلهذا
استعان الصالحون على معرفة عيوبهم باقوال غيرهم علما منهم ان هوى النفس لذاتها يعميها عن ان تدرك عيبها وما اذل الهوى
مرديا فتاكا ولهذا قال سبحانه ونهى النفس عن الهوى وقال صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وانت اذا تاملت هلاك من هلك من المتكلمين كالمجبرة والمرجئة مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم عرفت
ان لا سبب لهلاكهم الا هوى الانفس وحبهم الانتصار للمذهب الذي قد الفوه وقد راسوا بطريقه وصارت لهم الاتباع والتلامذة
واقبلت الدنيا عليهم وعدهم السلاطين علماء ورؤساء فيكرهون نقض ذلك كله وابطاله ويحبون الانتصار لتلك
المذاهب والاراء التي نشاوا عليها وعرفوها ووصلوا الى ما وصلوا اليه بطريقها ويخافون عار الانتقال عن المذهب وان
يشمت بهم الخصم ويقرعهم الاعداء ومن انصف علم ان الذي ذكرناه حق واما طول الامل فينسي الاخرة وهذا حق لان الذهن اذا انصرف
الى الامل ومد الانسان في مداه فانه لا يذكر الاخرة بل يصير مستغرق الوقت باحوال الدنيا وما يرجو حصوله منها في مستقبل
الزمان ومن كلام مسعر بن كدام كم من مستقبل يوما ليس مستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله ولو رايتم الاجل ومصيره لابغضتم
الامل وغروره وكان يقال تسويف الامل غرار وتسويل المحال ضرار ومن الشعر المنسوب الى امير المؤمنين عم غر جهولا امله يموت
من جا اجله ومن دنا من حتفه لم تغن عنه حيلته وما بقاء اخر قد غاب عنه اوله والمرء لا يصحبه في القبر الا عمله قال ابو العتاهية
لا تامن الموت في لحظ ولا نفس ولو تمنعت بالحجاب والحرس واعلم بان سهام الموت قاصدة لكل مدرع منا ومترس ما بال
دينك ترضى ان تدنسه وثوب لبسك مغسول من الدنس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
ومن الحديث المرفوع ايها الناس ان الاعمال تطوى والاعمار تفنى والابدان تبلى في الثرى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض
الفرقدين يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك ما الهى عن الامل واذكر بحلول الاجل وقال بعض الصالحين بقاؤك
الى فناء وفناؤك الى بقاء فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى وقال بعضهم اغتنم تنفس الاجل وامكان العمل
واقطع ذكر المعاذير والعلل ودع تسويف الاماني والامل فانك في نفس معدود وعمر محدود ليس بممدود وقال بعضهم اعمل عمل
المرتحل فان حادي الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك ثم قال عم الا ان الدنيا قد ادبرت حذاء بالحاء والذال المعجمة وهي السريعة
وقطاة حذاء خف ريش ذنبها ورجل احذ اي خفيف اليد وقد روي قد ادبرت جذاء بالجيم اي قد انقطع خيرها ودرها ثم قال ان
كل ولد سيلحق بامه يوم القيمة فكونوا من ابناء الاخرة لتلحقوا بها وتفوزوا ولا تكونوا من ابناء الدنيا فتلحقوا بها وتخسروا
ثم قال اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وهذا من باب المقابلة في علم البيان الاصل ومن كلام له عم وقد اشار عليه
اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم
اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا والراي مع الاناة
فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم ار الا القتال او الكفر انه
قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا الشرح ارودوا اي ارفقوا ارود في السير
ارودا اي سار برفق والاناة التثبت والتاني ونهيه لهم عن الاستعداد وقوله بعد ولا اكره لكم الاعداد غير متناقض
لانه كره منهم اظهار الاستعداد والجهر به ولم يكره الاعداد في السر وعلى وجه الخفاء والكتمان ويمكن ان يقال انه كره استعداد
نفسه ولم يكره اعداد اصحابه وهذان متغايران وهذا الوجه اختاره القطب الراوندي وللقائل ان يقول التعليل الذي علل به عم
يقتضي كراهية الامرين معا وهو ان يتصل باهل الشام الاستعداد فيرجعوا عن السلم الى الحرب بل ينبغي ان يكون كراهيته لاعداد
جيشه وعسكره وخيولهم والاتهم اولى لان شياع ذلك اعظم من شياع استعداده وحده لانه وحده يمكن ان يكتم استعداده
واما استعداد العساكر العظيمة فلا يمكن ان يكتم فيكون اتصاله وانتقاله الى اهل الشام اسرع فيكون اغلاق الشام عن خير ان
ارادوه اقرب والوجه في الجمع بين اللفظتين ما قدمناه واما قوله عم ضربت انف هذا الامر وعينه فمثل تقوله العرب اذا ارادت
الاستقصاء في البحث والتامل والفكر وانما خص الانف والعين لانهما صورة الوجه والذي يتامل من الانسان انما هو وجهه واما

Copyright ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)